

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ

تفسير سورة المدثر وهي مكية .ثبت في صحيح البخاري [من حديث يحيى بن أبي كثير ،

عن أبي سلمة] عن جابر أنه كان يقول : أول شيء نزل من القرآن : (يا أيها المدثر

(وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق

(كما سيأتي [بيان] ذلك هناك .قال البخاري : حدثنا يحيى ، حدثنا وكيع ، عن علي

بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما

نزل من القرآن ، قال : (يا أيها المدثر) قلت : يقولون : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ؟

فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك ، وقلت له مثل ما قلت لي ، فقال

جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " جاورت بحراء ،

فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ، ونظرت عن شمالي

فلم أر شيئا ، ونظرت أمامي فلم أر شيئا ، ونظرت خلفي فلم أر شيئا ، فرفعت رأسي

فأريت شيئا ، فأتيت خديجة فقلت : دثروني ، وصبوا علي ماء باردا . قال : فدثروني وصبوا

علي ماء باردا قال : فنزلت (يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر) هكذا ساقه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من طريق عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة قال : أخبرني جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي : " فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصري قبل السماء ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجثت منه حتى هويت إلى الأرض ، فجثت إلى أهلي ، فقلت : زملوني زملوني ، فزملوني ، فأنزل الله (يا أيها المدثر قم فأندر) إلى : (فاهجر) - قال أبو سلمة : والرجز : الأوثان - ثم حمي الوحي وتتابع " . هذا لفظ البخاري وهذا السياق هو المحفوظ ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا ، لقوله : " فإذا الملك الذي جاءني بحراء " ، وهو جبريل حين أتاه بقوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) ثم إنه حصل بعد هذا فترة ، ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنا عقيل ، عن ابن شهاب قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرني جابر بن

عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصري قبل السماء ، فإذا الملك الذي جاءني [بحراء الآن] قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجثت منه فرقا ، حتى هويت إلى الأرض ، فجثت أهلي فقلت لهم : زملوني زملوني ، فزملوني ، فأنزل الله : (يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) ثم حمي الوحي [بعد] وتتابع " . أخرجاه من حديث الزهري ، به . وقال الطبراني : حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ، حدثنا الحسن بن بشر البجلي ، حدثنا المعافى بن عمران ، عن إبراهيم بن يزيد ، سمعت ابن أبي مليكة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا . قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم ليس بساحر . وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم : ليس بكاهن . وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم ليس بشاعر . وقال بعضهم : [بل] سحر يؤثر ، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحزن وقع رأسه ، وتدثر ، فأنزل الله (يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر) .